مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣١)

فكوة المثالية والواقعية فى مبحث السياسة عند كل من أفلاطون وأرسطو

إعداد

الباحثة/ رياب عباس محمد درديير
لنيل درجة الماجستير فى الآداب من قسم الفلسفة

تحت اشراف

د/ مدحت محمد نظيف
أستاذ الفلسفة اليونانية المساعد - كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٧ العدد (١٠٦) يوليو ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكرة المثالية والواقعية في مبحث السياسة عند كل من أفلاطون وأرسطو

الباحثة/رباب عباس محمد دردير

لنيل درجة الماجستير في الأداب من قسم الفلسفة

شعبة فلسفة يونانية

إشراف

د/ مدحت محمد نظيف

أستاذ الفلسفة اليونانية المساعد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

السياسة عند أفلاطون :

تمهيد :

لاشك أن المشكلة الرئيسية فى فلسفة أفلاطون هى مشكلة سياسية من الدرجة الأولى ، فلقد حاول أفلاطون إنشاء دولة مثالية (Utopia)يتحقق فيها نوع من العدل والمساواة بين أفراد المجتمع [1].ولقد عالج أفلاطون السياسة ، بصفة عامة ونظرية الدولة خاصة فى عدة محاورات أهمها الجمهورية ، والسياسي ، والقوانين .

فإذا كان أفلاطون قد حاول أن يرسم صورة للمثل العليا كما سمح له خياله فالواقع أن هذه الصورة المثالية ليست سوي ، محاولة من جانب هذا المفكر لتفادي نواحي النقص التى لاحظها فى النظم السياسية القائمة فعلاً ، وللتغلب على المساوئ التى رآها فى تلك النظم ، ولإيجاد نظام مثالي كامل تختفي فيه هذه النقائض

(1) حربي عباس عطيتو ، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمساوئ [٢]. ومن الغريب أن أفلاطون نفسه كان يشعر بصعوبة تطبيق نظام هذه الدولة ، والدليل على ذلك إجابته التى أجابها فى " الجمهورية " على من سأله عن إمكان تكوين دولة على هذا النحو ، أجاب بأن البحث عن النظام الكامل شيء ، وإمكان تطبيق هذا النظام شيء آخر [٣].

من هذا المنطلق نستطيع أن نعرض للحلول التى قدمها أفلاطون فى مجال الحديث عن النظام المثالى للحكم ، وهى حلول توجد فى ثلاث محاورات من محاوراته هى : الجمهورية حسب تسميتها الشائعة ، والسياسي أو رجل الدولة ، والقوانين .وقد كتب أفلاطون كتاب الجمهورية وهو فى مرحلة شبابه ، وبعد الجمهورية قدم كتابه رجل الدولة ، واتسمت أفكاره – فى تلك المرحلة - بالنضج والكياسة ، وأعقب ذلك القوانين التى وضع فيها كل خبراته النظرية والعملية حيث نجده قد هذب من أحلامه فى الجمهورية ، ونزل من السماء إلى الأرض أى إلى الميدان العملى حتى تتلاءم مع طبيعة الإنسان وما تتميز به من ضعف [١].

حيث نشأ أفلاطون فى وقت كانت أثينا تعاني من صراع مع اسبرطة .ثم بدأت الحرب البيلوبونيزية ، وكان ثمنها باهظاً ، وقد استمرت الحرب لعدة سنوات دون أن تحسم ، ولم يكن فى استطاعة أثينا ، بما لها من قوة بحرية أن توجه ضربة قاضية للجيوش الإسبرطية فى حين أن هذه الجيوش رغم أن كان فى مقدورها أن تغزو وتدمر الأراضي الأثينية لم يكن فى استطاعتها أن تستولى على المدينة

---

[٢] جورج سباين: تطور الفكر السياسي ، ج ٢ ، ترجمة جلال العروسي، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧١م، صـ١٩٦ .

[٣] محمد بيصار : الفلسفة اليونانية ، " مقدمات ومذاهب " ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٣م، صـ١١٤ .

[١] إسماعيل على سعد ، المجتمع والسياسة ، "دراسات نظرية وتطبيقية " ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، صـ٥٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحصنة تحصينا منيعا ، لذلك فقد عاش أفلاطون عصر ملئ بالاضطرابات السياسية والصراعات الحربية [٢].

كذلك لم تسلم الحياة الداخلية من الصراع بين الأحزاب المتنافسة على الحكم وعلى رأس هذه الأحزاب – حزب الأرستقراطية المعبرة عن مصالح النبلاء وهو الذى عُرف باسم حزب الأوليجاركية أى القلة الغنية ، وبين حزب الديمقراطية الذى يضم طبقات متباينة من أغنياء التجارة ومن ينضم إليهم من المهنيين وأصحاب الحرف اليدوية ، وقد انتسب أفلاطون إلى الطبقة الأرستقراطية لكنه عاب على المجتمع الأثيني تغاليه فى حب المادة .

كان قوام المجتمع نظام الرق ، فكان الأرقاء يقومون بالأعمال الزراعية والصناعية وكانت أعمالاً محتقرة ، أما النبلاء فتولوا الواجبات الإدارية والحربية . فقد لمس أفلاطون خطورة حكم الطغاة المطلق ، كما شاهد إنهيار الحكم الديمقراطى وفساده . الأمر الذى جعله يبغض كل النظم السياسية وينكر كل فلسفة تجعل الفرد فوق المجتمع ، كما يري أن تبني الدولة على إتحاد القيم الفردية بالقواعد الإجتماعية ، سواء فى النظم أم فى القوانين . كما تأثر كثيراً بآراء أستاذه سقراط الذى نادى بأن الفضيلة هى المعرفة [١].

فقد حرص أفلاطون أن يكون إطار نظريته السياسية إطاراً أخلاقياً ، فالسياسة هى العلم الذى يحدد المعانى العامة التى تكفل السعادة للناس ، والتى تتوخى أن تجرى العلاقات

---

(١) ريكس وورنر : فلاسفة الإغريق، ترجمة عبد الحليم سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٨٥م ، صـ٧٨.

(٢) فؤاد محمد شبل : الفكر السياسي ، ج١ ، دراسة مقارنة للمذاهب السياسية والاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، صـ٩٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بينهم على أساس من التضحية والإيثار والتعاطف وأن تربط بين الحاكم والمحكوم علاقة كريمة لا تقل نبلاً وجمالاً عن تلك العلاقة التى تربط بين الأب وأبنائه [٢].

أى أن علم السياسة فى نظر أفلاطون ليس سوى نظرية شاملة للتنظيم المجتمع تنظيماً يكفل له التقدم فى ظل من الاستقرار والسلام والسعادة .

أولا مفهوم العدالة عند أفلاطون :

يري أفلاطون أن التزييف قد لحق بكل المفاهيم التقليدية المتعلقة بالعدالة والخير والحق والفضيلة والسعادة ، وأن إصلاح الأمور يبدأ بتخليص هذه المفاهيم مما لحق بها من زيف وتشويه ، نتيجة الانقلاب السياسي والاجتماعي الذى أحدثه الديمقراطية . ولأن هذا التزييف هو أساس الفساد الذى تفشي فى معظم المدن اليونانية [٣].

كما يري أن السياسة ليست هى تلك الأحكام والقوانين التى تطبق فى مجتمع من المجتمعات ، ويشرعها الحكام ليطيعها المواطنون بل هى أسمى من ذلك منزلة وأعلى مقاماً فهى العلم الذى يجمع المبادئ العامة الأصلية المشتقة من الفكر السليم ، والإدراك القويم فالسياسة علم أخلاقي غايته تحقيق العدالة فى المدينة ، كما أن الفضيلة هى تحقيق العدالة فى النفس [١].ولقد كان من الطبيعي أن يكون شاغل أفلاطون الأساسي هو العدالة ، والحكم الصالح الذى تتحقق فى ظله . فالعدالة فى رأيه هى الفضيلة الأساسية للروح ، وبالتالى فالرجل العادل هو الأسعد والأحكم والأفضل والأقوي . ولكن العدالة لا يستطيع أن يتعرف عليها سوى قلة قليلة من

---

(٢) د/محمد فتحى الشنيطى :: نماذج من الفلسفة السياسية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٩ ، صـ٢٢.
(٣) د/حسين حرب : الفكر اليونانى – أفلاطون ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٨٠ ، صـ٢١
(١) د/محمد فتحى الشنيطى : المرجع السابق ، صـ٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأفراد ، وهؤلاء يجب أن يوجهوا الآخرين الذين يعتبرهم أفلاطون قادرين على تحقيق شيء من الفضيلة ، وبالتالى يكون هناك تناسق وإنسجام مع الفضيلة الأسمى [٢].

لقد كان المحور الذى دارت حوله أبحاث أفلاطون السياسية فى محاوره " الجمهورية " وهو فكرة " العدالة " فالنظريات المختلفة تعالج فى إطار هذه الفكرة . والمواقف والاتجاهات المتباينة تعرض فى صورة تعريفات مختلفة لمصطلح العدالة justice والرباط الذى يجمع بين الأجزاء المختلفة للمحاورة ، وهو هذا السعي المتدرج إلى إيجاد تعريف سليم للعدالة .

مع ذلك ، فلم تكن فكرة العدالة مجرد وسيلة ابتدعها أفلاطون لبعث الوحدة بين أجزاء المحاورة ، أو نغمة درامية كررها لكى يضمن التماسك بين أجزائها ، بل أن مفهوم العدالة كان له من الأهمية ما يبرر اتخاذه محوراً حقيقياً للبحث السياسي فى المحاورة . فكلمة العدالة كانت ، فى نظر اليونانى القديم ، تضم فى داخلها عدداً كبيراً من المعانى ، التى تكاد تشمل ميدانى الأخلاق والسياسة بأسرهما . والعادل هو الذى يتصف بتلك المجموعة من الفضائل ، التى يتسنى بها تنظيم الحياة البشرية ، الخاصة والعامة ، على أفضل نحو [٣].

لكن ثمة التباس قد يحدث حول مفهوم العدالة ذاتها ، إذ أنها قد تشير إلى صفة تتوفر إما فى الفعل أو من يقوم بالفعل ، فالإنسان البار هو الذى يحاول دائما أن يفعل ماهو بار[١].ومن ثم يري أفلاطون أن الدفاع عن العدالة يبدأ بدحض النظريات الملحدة ، وبإقناع الناس بوجود آلهة أخيار يهتمون بأمور البشر ، ويقدسون

---

[٢] د/ حورية مجاهد : الفكر السياسي من افلاطون إلى محمد عبده ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، صـ٥٠.

[٣] أفلاطون : الجمهورية ، ترجمة د/ فؤاد زكريا ، مقدمة المحاورة ، صـ ٨٣ ، ٨٤ .

(1)Glenn,R.Morrow : " Plato's Cretan city ", princeten university press, New Jersey, 1960 , p.30 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العدالة . فالتفكير بإستقامة حول الآلهة شرط أساسي لسيطرة العدالة وقبول حياة خيرة شريفة [٢].

لاجدال فى أن أفلاطون ، بوصفه خصماً سياسياً للإتجاهات الداعية إلى التغير ، لم يعرض آراء أصحاب هذه الاتجاهات على النحو الذى كانوا هو أنفسهم ملتزمين بأن يفسروها . فهو يستخدم قدرته الفنية الهائلة فى إعطاء القارئ صورة لخصومه كفيلة بأن تجعلهم بالفعل أناساً بغيضين إلى نفس كل شخص محب للحقيقة وللعدالة . فالسوفسطائي – فى نظره – لا يدعوا إلى التغير فحسب ، وإنما هو ينكر كل حقيقة ومعرفة مادام الإنسان مقياس الأشياء جميعا ، ودعوته ذاتها تصور بأنها دعوة إلى الانحلال ، وإلى القضاء على كل القيم – أى إلى تغليب الظلم على العدل – والدفاع عن حكم القوة الغاشمة وإحتقار سلطة العقل [٣]. ولهذا فقد صنف جلكون الخير إلى أنواع ثلاثة ، دون أن يحدد إلى أى منها تنتمى العدالة ، وهذه الأنواع هى :

١- هى تلك التى نختارها لذاتها وليس بسبب نتائجها ، مثل السعادة ، والملذات غير الضارة ، والتى يعقبها نتائج غير سارة .

٢- أو هى تلك التى تختارها لذاتها ولنتائجها معاً ، مثل الرأى السديد والحكمة .

٣- أو هى تلك التى لا تختارها لذاتها ، وإنما لنتائجها مثل السعى وراء الرزق[٤].

فى غير تردد ينسب سقراط العدالة إلى النوع الثانى مبيناً أنها خيرة فى ذاتها وأن مهمتها النهائية أن تكون لها نتائج طيبة [٥]. يمكننا أن نلاحظ كيف أن تصنيف جلكون للخير – والذى يقبله سقراط – هو بعينه التصنيف الذى نادى به أفلاطون ،

---

(٢) د/ حسين حرب : المرجع السابق ، صـ٢٣.
(٣)أفلاطون : الجمهورية ، صـ٨٥ .
(4) N. r. Murphy : the Interpretation of plato's , Oxford university press , Oxford , 1960 , p.p. 63 , 65 .
(5) Ibid : p.66 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من حيث أن أفلاطون يري بأن مظاهر التكريم والمكافأة والتى هى النتيجة الطبيعية للعدالة التى يتوقعها الإنسان للفوز به عاجلاً أم آجلاً هى نتائج عارضة ، أو طارئة ، وبالتالى فإن العدالة موجودة وإن لم يكن هناك إعتراف بوجودها .

بل ويؤكد أفلاطون بأن العدالة يجب أن تكون غاية فى ذاتها ، لأن إحساس الإنسان بأن هناك عدالة مطلقة مكفولة من حيث المبدأ ، سوف يعزز نشاطه الإنسانى ، ويحفزه على بذل غاية ما فى وسعه للتعاون فى سبيل تحقيق الخير العام ، ومن هنا كانت حكمة أفلاطون فى أن تكون العدالة عامة ، والتربية وسيلة[١].وإلى هذا الحد لا تثير فكرة أفلاطون عن النتائج أية مشكلة ، إلا أننا إذ أمعنا النظر فى أمثلته الخاصة بالنوع الثالث من الخير – أى الأشياء المتمثل خيرها فى نتائجها – لواجهتنا مشكلة كان بإمكان أفلاطون أن يحلها ، لو أنه قد أدرك الفرق بين شيء خير فى ذاته ، وشيء خير بسبب نتائجه [٢] .

يتضح لنا مما سبق أن المهمة التى يتصدي لها أفلاطون هى دحض المفهوم المزيف للعدالة ، والبحث عن العدالة الحقيقية – العدالة فى ذاتها – التى كانت تحكم ممارسات الحكومة الأرستقراطية قبل سقوطها ، والتى لن تعود إلى المجتمع البشري إلا مع عودة الأرستقراطية من جديد إلى السلطة السياسية .

لكن رغم رفض أفلاطون للعدالة الطبيعية إلا أنه سوف يبنى هو أيضا مفهوم العدالة الحقيقية على مقاييس الطبيعة البشرية ، وسيرفض مساواة اللامتساويين فى طبائعهم ، بل سوف يرسم نموذج النظام العادل استناداً إلى الاستعدادات التى يحملها البشر فى جبلتهم [٣] .وإذا أمعنا النظر فى التعريف الذى يقدمه أفلاطون

(١) د/محمد فتحي الشنيطي : المرجع السابق ، ص٢٨.

(2)N.R. Murphy : op – cit , p.67 .

(٣) د/ حسين حرب : المرجع السابق ، صـ ٢٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للعدالة لوجدناه يرتبط أوثق الارتباط بفكرة المحافظة على استقرار الأوضاع القائمة أو تجميدها من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المبدأ الذى ينبغي أن يتمسك به الحكام فى حكمهم على الدوام ، هو المبدأ القائل بأن أحداً لا ينبغي أن يعتدي على ما يمتلكه الغير ، أو يحرم مما يمتلكه ، ذلك لأن أعظم أسباب كمال الدولة ،هو تلك الفضيلة التى تجعل كلا من الأطفال ،والنساء،والعبيد،والأحرار،والصناع ،والحاكمين والمحكومين ،يؤدى عمله دون أن يتدخل فى عمل غيره(١).

على أية حال ، فإن " العدالة " عند أفلاطون ، هى أن يلتزم كل فرد حدود الطبقة التى ينتمى إليها ، تبعاً لطبيعته ، أو تكوينه ، ولا يحاول أن يتعدى نطاقها الخاص ، أو يتطلع على غيره من الطبقات . ولا جدال فى أن مثل هذا التحديد لمفهوم العدالة يصطدم بقوة مع معظم التعريفات الحديثة لفكرة العدالة . ذلك لأن الإنسان الحديث يتجه إلى الربط بقوة بين العدالة والمساواة ، على حين أن العدالة عند أفلاطون لا تربط بالمساواة لا ترتبط بالمساواة على وجه الإطلاق بل هى فى الواقع تأكيد للامساواة (٢).

من ثم يؤكد أفلاطون بأنه لن يسمح للحذاء بأن يكون زارعاً أو نساجاً أو بناء لكى يتقن صنعته ، كذلك جعل لكل صانع أخر حرفة واحدة ، هى التى أتقنها ومارسها طوال حياته ، بحيث أنه لم يعد يدخر وسعاً للوصول فى حرفته على حد الكمال (٣).وهو ما يعنى أن الدولة تكون عادلة – فى رأيه – إذا رضي الصانع والزارع والحارس بوضعه ،ولم يحاول أن يمارس عملاً أرفع من ذلك الذى تؤهله له طبيعته ، أى إذا اقتنع باللامساواة الطبيعية بينه وبين الآخرين . وبعبارة أخرى ،

(١) أفلاطون : الجمهورية ، صـ٨٧ .
(٢) المصدر السابق : صـ٩٠ .
(٣) المصدر السابق : فقرة ٣٤٧ ، صـ ٢٠١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالعدالة هى المحافظة على الفوارق بين الناس ، وليست هى السعي إلى إلغاء هذه الفوارق ، كما يميل الإنسان الحديث إلى تفسيرها .وتأكيدا لتلك الفكرة فقد ميز أفلاطون بين نوعين من العدالة الأولى هى : عدالة المساواة " equality"وأطلق عليها اسم العدالة الحسابية ، أما العدالة الثانية فهى " عدالة اللامساواة " inequality" وسماها بالعدالة الهندسية . وقد ربط أفلاطون بين عدالة المساواة والحساب ، لأن الأخير يستخدم الأعداد على نحو يؤدى إلى توزيعها بالتساوى ، مما يؤدى إلى خلق نوع من الاضطراب والخلط بين مختلف فئات الناس .

أما الهندسة فهى تستخدم النسب ، أى أنها توزع الأشياء وفقاً لمرتبتها ، وتحفظ الفوارق بينها . فسيادة المبدأ الهندسي فى الدولة يعنى المحافظة على الفوارق بين الطبقات [١]. ومن ثم يمكننا أن نستنتج أن العدالة الهندسية هى التى تتلاءم مع النظرة الارستقراطية ، بينما تتناسب العدالة الحسابية مع المفهوم الديمقراطي .ويترتب على فكرة العدالة الهندسية ، أو عدالة اللامساواة هذه ، أن يتحدد الإطار النظري العام للنظرية السياسية عند أفلاطون ، كما عرضها فى محاورة " الجمهورية " والذى يمكن أن ترتد إليها كل أفكاره التطبيقية أو الجزئية فى مجال السياسة[٢].

السياسة عند أرسطو :

لم يبدأ أرسطو كما بدأ أفلاطون بالتفكير فى الدولة المثالية ، أى بالدولة كما يجب أن تكون عليه ، بل بدأ يدرس الدولة كما هى عليه فعلا وذلك عن طريق تحليل ١٥٨ دستور دولة مدينة كانت قائمة فى ذلك الوقت . ومن خلال دراسة تاريخ تلك الأنظمة استمد آراؤه ونظرياته فى الميدان السياسي [٣]. ويمكن القول إنه بالرغم من

(١)Karl popper : " The open society and its enemies " , vol . I , Routledge and kegan paul 4 th Edicition , Lodon , 1962 , p. 248.

(٢) أفلاطون : المصدر السابق ، صـ ٩٠ .

(٣)عبد الحميد متولى : الوجيز فى النظريات والأنظمة السياسية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، صـ ٦٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن أرسطو كان واقعيا إلا أن ذلك لا يعنى أنه كان لا يعترف بالمثالية فقد كان يؤمن بالمثالية النسبية – لا المثالية المطلقة – أى بتلك المثالية التى تستند إلى الواقع بحيث يعدو من المستطاع تحقيقها من الناحية العملية .

قد ترتب على تلك النزعة الواقعية التاريخية ، وتلك المثالية النسبية التى اعتنقها أرسطو أن جاء لنا بمبدأ مهم من مبادئ علم السياسة يتلخص فى أن صلاحية الأنظمة السياسية هى مسألة نسبية ، أى لا يصح أن يوصف نظام من الأنظمة السياسية بإنه أصلح الأنظمة لكل زمان ومكان ، فالأمر فى ذلك يختلف باختلاف ظروف البيئة الاجتماعية والسياسية ، فما كان صالحا من تلك الأنظمة لبلد أو لزمان قد لا يصلح لغير هذا أو ذلك من البلدان أو الأزمان[1] . ولذلك فقد أخذ على أفلاطون أنه توهم شكلا واحدا ثابتا لكل المجتمعات وفى كل الظروف .

مما سبق يتضح لنا أن أرسطو يعد بحق أبا للحكومات المقارنة ورائد الواقعية ويمكن إرجاع تلك النزعة الواقعية لدى أرسطو إلى العوامل الآتية :

١- كان والده طبيبا خالصا للملك المقدوني ، ولما كان الطب يتوراث فى الماضي ، فقد تعلم أرسطو الطب مما كان له أكبر الأثر فى اتباعه طريق التحليل والتمحيص قبل أن يصل إلى نتائجه دون اللجوء إلى طريق الفلسفة فى الاستنتاج والافتراض [2].

٢-عدم مولده فى أثينا كان له أهمية حيث أنه إلى حد بعيد لم يكن يرتبط عاطفيا بأثينا وكان – منثم – أكثر قدرة على التحليل المستقل ، أى أن البعض يري أن عدم انتماء أرسطو الأصلي لأثينا جعله أكثر موضوعية فى تحليل أسباب تدهورها وفى تحليل نظامها السياسي ونظم غيرها من دول المدينة ، فقد جاء من مجتمعه إلى

(١) المرجع السابق ، صـ ٦٥ ، ٦٦ .
(٢) ثروت بدوي : أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبري،دار النهضة العربية،القاهرة ،١٩٧٠، صـ ٧٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجتمع أجنبي عنه مما أدى إلى قدرته على حرية الفكر ، ولذلك نراه أكثر موضوعية ومحايدة بالنسبة لمشاكل التدهور السياسي لأثينا وهزيمتها السابق ذكرها (٣).

٣- قضى أرسطو شطرا كبيرا من حياته فى صحبة الملوك إذ نشأ فى معية الملك المقدونى الذى كان والده طبيباً له ، ثم أصبح مربياً لابنه الإسكندر ثم عاش أرسطو بعد ذلك ملازما لأحد الملوك الطغاة فى آسيا الصغري ، وبذلك استطاع أن يطلع على الكثير من أسرار العالم السياسي (٤).

٤- لقد جاءت تلمذة ارسطو على يد أفلاطون فى شيخوخته ، أى على أفلاطون الواقعي لا على يد أفلاطون المثالي ، أى تلمذته على يد أفلاطون القوانين لا أفلاطون الجمهورية كان له الأثر فى أفكاره السياسية قامت على ما جاء به أفلاطون فى القوانين وفى السياسي .

وقد ترك أرسطو مؤلفات عديدة فى معظم المعارف الإنسانية ، إلا أن كتاب السياسية the politics يعتبر من أهم إنجازاته فى الفكر السياسي (١) إذ يضم تحليلا فى غاية الدقة والأحكام للواقع الذى كان يعيشه أرسطو والذى تكلم فيه عن نشأة الدولة والسلطة السياسية من حيث أهدافها وأشكال الحكومات ، كما يحث فى النظم السياسية وأسباب زوالها ، وقد كانت آراء أرسطو ونظرياته فى هذه المجالات على درجة من العمق والدقة بحيث يعد أرسطو المؤسس الحقيقي لعلم السياسة ، ولا يزال الكثير من آرائه مأخوذا بها حتى اليوم(٢).

(٣) جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، ج ٢ ، صـ ١١٢ ـ ١١٥ .
(٤) عبد الرحمن بدوي : أرسطو " خلاصة الفكر الأوروبي "، سلسلة الينابيع، مكتبة النهضة العربية،القاهرة ،١٩٥٣، ص٣ .
(١) حورية توفيق مجاهد : الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده ، صـ ٧٨ .
(٢) ثروت بدوي : المرجع السابق ، صـ ٧٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يري بعض الباحثين إنه يمكن الاستفادة من الأخلاق النيقوماخية كمصدر من مصادر فلسفة أرسطو السياسية بالإضافة إلى كتاب السياسة .

نشأة الدولة عند أرسطو :

لقد أرجع أرسطو أصل الدولة إلى الأسرة التى يعتبرها الوحدة الاجتماعية الأولى من حيث التطور التاريخي فالطبيعة خلقت فى الرجل ميلا غريزيا للاجتماع بالمرأة من أجل إنتاج النسل وتكوين الأسرة ثم تجمعت أسر مختلفة وكونت القرية ، ومن اجتماع عدة قري تكونت الدولة وفى ذلك يقول أرسطو " من الضروري اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر " أريد أن أقول اجتماع الجنسين للتناسل .

ليس فى هذا شيء من التحكم ، ففى الإنسان كما فى الحيوانات الأخر وفى النباتات نزعة طبيعية إلى أن يخلف بعده موجودا من صورته ، على هذا فالاجتماع الطبيعي فى كل الأزمان إنما هو العائلة ، ان الاجتماع الأول لعدة عائلات الذى ألف بالنظر إلى العلاقات التى ليست يومية إنما هو القرية التى يمكن بحق تسميتها المستعمرة الطبيعية للعائلة ،لأن الأفراد الذين يعمرن القرية ، كما يعبر عنه مؤلفون آخرون قد رضعوا لبان العائلة أنهم أولادهم وأولاد أولادهم واجتماع عدة قري يؤلف دولة تامة "[1]

إن الدولة عند أرسطو تجمع تلقائي طبيعي من حيث أن الإنسان كائن اجتماعى بالطبع فمن يستطيع أن يعيش خارج الدولة (أو المدينة) فليس إنسانا بل بهيمة أو إلها ، إذ لم يفتقر إلى شيء من الأشياء التى يفتقر إليها الإنسان ، أما لكماله المحض كالله أو لنقصه الزري كالبهيمة [2]. ويقول أرسطو فى ذلك :" إن

(١) أرسطو : السياسة ، ترجمة من الأغريقية إلى الفرنسية / بارتلمى سانتهلير ، نقله إلى العربية . احمد لطفى السيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، (ك ١ ، ب ١ – ف٦) ، صـ ٩٣ .

(٢) ماجد فخرى : أرسطو طاليس المعلم الأول ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ، د. ت، صـ ١٢٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدولة تأتى دائما من الطبع ، شأنها فى ذلك شأن الاجتماعات الأولى التى تكون الدولة غايتها الأخيرة لأن طبع كل شيء هو بالضبط غايته وأن ماهية كل واحد من الموجودات متى بلغ مبلغه التام هى ما يقال عليها . أنها هى طبعه الخاص سواء أكان الموجود يعنى إنسانا أم حصانا أم عائلة ، يمكن أن تضاف إلى هذا أن هذا المصير وهذه الغاية للموجودات هى أول الخيرات لها. ولأن يكفي الموجود نفسه فذلك غرض وسعادة معا . من هذا تنتج هذه النتيجة البينة ، أن الدولة هى من عمل الطبع ، وأن الإنسان بالطبع كائن اجتماعي ، وأن هذا الذى لا يستطيع أن يعيش فى الجماعة وليس له مع استقلاله حاجات . فذلك لا يستطيع البتة أن يكون عضوا فى الدولة ،إنما هو بهيمة أو إله ، فالإنسان أشد قابلية إلى ما لا نهاية للاجتماع من النحل ومن سائر الحيوانات التى تعيش قطعانا فذلك بالبديهة [٣].

إن الدولة عند أرسطو هى أعظم المجتمعات حيث أنها أقرب إلى الاكتفاء الذاتي وأنها تمكن الإنسان من بلوغ الحياة الفاضلة ، يقول أرسطو " إن اجتماع عدة قرى يؤلف دولة تامة ، يمكن أن يقال عليها أنها بلغت حد كفاية نفسها على الإطلاق بعد أن تولدت من حاجات الحياة واستمدت بقاءها من قدرتها على قضاء تلك الحاجات كلها" [١] .

إن الإنسان يتميز عن غيره من الكائنات الأخرى ، بأنه كائن سياسي فهو لا يتميز عن غيره من الكائنات بالغريزة والتكاثر ، لأن هذا من خصائص كل الكائنات ، ولا يتميز بالقوة العضلية ، لأن هذا من خصائص بعض الكائنات ، بل ما يميز

(٣) أرسطو : المصدر السابق ، (ك١ ـ ب ١ ـ ف ١) ص٩٥ .
(١) المصدر السابق ، صـ ٩٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإنسان حقا عن غيره من الكائنات هو وجود العقل وما يترتب على هذا الوجود من إمكان وجود نشاط عقلى لدى الإنسان ومن هنا كان الإنسان كائنا سياسيا(٢).

يتضح لنا ان نشأة الدولة عند أرسطو تناقض تماما نظرية العقد الاجتماعى التى أوردها بعد ذلك هوبز ولوك وروسو ، والتى ترى ان الدولة تنشأ نتيجة عقد او اتفاق ، ذلك لأنه مادامت الأسر ظاهرة طبيعية فإنها الخلية الاجتماعية الأولى التى بنيت عليها كل التنظيمات اللاحقة والتى انتهت بظهور الدولة ، فلا يمكن اعتبار الدولة تبعا لذلك ، نتيجة لعقد أو اتفاق ، إذ هى نظام طبيعي ظهر وفقا لسنة التطور والارتقاء .

كما يتضح لنا أيضا أن الخلاف بين أرسطو وأستاذه أفلاطون قد تعدى ناحية أصل نشأة الدولة ، إلى مسألة تكييف الدولة ذاتها ، فبينما كان أفلاطون يرى ان الدولة هى وحدة مجردة ليس للأفراد فيها وجود مستقل ، اعتقد أرسطو أن الدولة تتكون من مجموعة من الأفراد يختلفون عن بعضهم وأن الاتحاد المطلق معناه القضاء على الدولة(٣) .

ترتقي الدولة عند أرسطو ليجعلها أسمى من الفرد والعائلة ، والقرية ، وذلك لأن الكل أسمى من الجزء بالضرورة ولا وجود للجزء إذا فسد الكل ، يقول أرسطو " لا يمكن الشك فى أن الدولة هى بالطبع فوق العائلة وفوق كل فرد ، لأن الكل هو بالضرورة فوق الجزء مادام أنه متى فسد الكل فليس بعد من جزء ، لا أرجل ولا أيدى إلا أن يكون على سبيل المجاز كما يقال يد من حجر ، لأن اليد متى فصلت عن الجسم لا تبقي يدا على الحقيقة ، وأن الأشياء لتعرف على العموم بآثارها التى توقعها

(٢) إبراهيم أحمد شلبي : تطور الفكر السياسي " دراسات تأصيلية لفكرة الديمقراطية فى الحضارات القديمة، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ ، صـ ١٢٣ .
(٣) غانم محمد صالح : الفكر السياسي القديم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، صـ ١٠٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتى من شأنها أن توقعها فمتى انقطع استعدادها الأولى لا يمكن أن يقال أنها هى أنفسها إنما هى مندرجة تحت اسم واحد وليس غير [١].

إذا كان الإنسان أول هذه الحيوانات وسيدها فإنه يكون آخرها إذا عاش بلا قوانين وبلا عدل وبلا فضيلة ، ولا شيء أشنع من الظلم فبدون الفضيلة يكون الإنسان أكثر فساداً وافتراساً والمسئول عن تحقيق العدل والفضيلة وأن يعيش الإنسان حياته وفقا للقوانين هى الدولة فيقول أرسطو " إن الطبع يدفع الناس بغرائزهم إلى الاجتماع السياسي ، ولقد أسدى أول من رتبه خدمة كبري لأنه إذا كان الإنسان الذى بلغ كماله الخاص كله هو أول الحيوانات فإنه حقا أخرها أيضا متى حتى بلا قوانين وبلا عدل . والواقع إنه لا شيء أشنع من الظلم المسلح لكن الإنسان قد تلقي عن الطبع أسلحة العدل . والفضيلة التى ينبغي أن يستعملها ضد شهواته الخبيثة فبدون الفضيلة يكون أكثر ما يكون فساداً وافتراساً[٢].

إن وظيفة الدولة الرئيسية عند كل من أفلاطون وأرسطو هى تعليم الفضيلة للصغار ولن يتيسر لها ذلك إلا في حالة السلم إذا أنها أنسب إلى الحالات التى تتيح للدولة القيام بواجبها نحو إشاعة العلم والتربية الأخلاقية بين الأفراد ، ولهذا فإن أرسطو يستهجن قيام الدولة على الحرب والغزو واستبعاد الآخرين [٣].

(١) ارسطو : المصدر السابق (ك ١ ـ ب١ ـ ف ١١) صـ ٩٦ .
(٢) ارسطو : المصدر السابق (ك ١ ـ ب١ ـ ف ١١) صـ ٩٦
(٣) د/ محمد علي ابوريان : تاريخ الفكر الفلسفي (ارسطو والمدارس المتأخرة)،ج٢ ،ص ص ٢٥-٢٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner